

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٨٦ : خ١ - الرقائق ، خ٢ - كيفية مواجهة الموت والاستعداد له .

لضيالة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠١-٤-٢٧

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونستعين به ونسترشد، ونعود به من شرور أنفسنا وسیئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسوله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته، ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا مما يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### الرقائق :

أيها الأخوة الكرام ؛ موضوع هذه الخطبة الرقائق، في كتب العلم يرد هذا الباب كثيراً، أي أن الإنسان حينما يقوس قلبه وتتدفع نفسه لطلب الدنيا، وحينما يقرأ القرآن فلا يتاثر، ويصل إلى يشعر بشيء، ويدرك الله فلا يشعر جلده، معنى ذلك أن في إيمانه خلاً خطيراً، وأنه بحاجة إلى المرفقات، إلى قصة، أو إلى موعضة ترقق قلبه، وتدفعه إلى التوبة، وتحمله على العبادة المتقنة، وتحثه على بذل المال، وتقرب له الآخرة، لذلك الرقائق باب من أبواب العلم .

الموت أيها الأخوة يقين لا رب ولا شك فيه :

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

[سورة ق : ١٩]

ما من إنسان على وجه الأرض إلا ويتمنى أن يعيش عمرًا مديداً، ويبعد عن الموت جهد المستطاع، وأعلم أن إنساناً في بلد عربي يخشى الموت، فلم يركب طائرةً في حياته، ولم يتناول في المساء طعاماً إلا فاكهة فقط، ولم يأكل إلا اللحم الأبيض، واعتني بصحته اعتناءً يفوق حد الخيال لكنه مات في النهاية، كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجلال .

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والنهار مهما طال فلا بد من نزول القبر

\*\*\*

كل ابن أنتي و إن طلت سلامته يوماً على آلة حباء محمول  
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

\*\*\*

من هذا الذي يستطيع أن يجادل في الموت وسكته؟ وأي مخاصمة في القبر وضمه؟ ومن يقدر على تأخير موته وتأجيل ساعته؟

﴿وَكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

[سورة الأعراف : ٣٤]

لم ينكر الإنسان وسوف تأكله الديدان؟ لم يطغى وفي التراب سيلقي؟ لم يسوف ويعلم أن الموت يأتي بغتة؟ والقبر صندوق العمل.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

[سورة العنكبوت : ٥٧]

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانِ \* وَبَيْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[سورة الرحمن : ٢٦-٢٧]

كل شيء هالك إلا وجهه.

﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

[سورة القصص : ٨٨]

الموت نهاية كل حيٍ و النفس تذوق الموت و لا تموت :

أيها الأخوة الكرام؛ أكبر وهم، وأكبر خطأ، وأكبر تصور مهلك أن نتوهم أن الموت فناء، وهو عدم تام، ليس بعده حساب، ولا حياة، ولا حشر، ولا نشر، ولا جنة، ولا نار، لذلك من الخطأ الفاحش أن تقول: الفقيد، الميت له حياة صارخة ولكن بنظام آخر، نظام الدنيا انتهى، أما هناك نظام آخر فالنفس تذوق الموت و لا تموت .

﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكِ لِيَقُضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُونَ﴾

[سورة الزخرف : ٧٧]

إلى أبد الآبدية، إما في جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفذ عذابها، لو أن الموت نهاية كل حي وهو العدم المطلق والفناء الممحض لانتقت حكمة الله من خلقه، ولاستوى الناس جميعاً بعد الموت، فالمؤمن كالكافر، والقاتل كالمقتول، والظالم كالظلمة، والطائع كالعصي، والزاني كالصلبي، والفاجر كالثقي، هذا مذهب الملاحدة .

﴿أَفَحَسِبُتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾

[سورة المؤمنون : ١١٥-١١٦]

تعالى الله أن يخلقنا عبثاً .

﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًّا \* أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيْ يُمْنَى \* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوْىٰ \* فَجَعَلَ مِنْهُ زَوْجَيْنِ الْذَّكَرَ وَالْأُنْثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾

[سورة القيمة : ٤٠-٣٦]

أيها الأخوة الكرام :

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبَعْثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتَبْعَثُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾

[سورة التغابن : ٧]

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوْلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

[سورة يس : ٧٩-٧٨]

ولعلنا إذا متنا وتركنا لكان الموت غاية كل حي، ولكن إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء .

## الموت مصيبة من أعظم المصائب :

أيها الأخوة الكرام ؛ الموت انفصال النفس عن الجسد فقط، والانتقال من دار إلى دار، من دار التكليف إلى دار الجزاء، ومن دار الضيق إلى دار السعة، لذلك عند الموت تقطع التوبة والإمهال، يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرِّ عِرْ))

[الترمذى عن ابن عمر]

إذا غرغر انقطعت التوبة . بل إن الموت أيها الأخوة من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى في كتابه مصيبة، فقال تعالى :

﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾

[سورة المائدة : ١٠٦]

إذا كان العبد طائعاً، ونزل به الموت لزم ألا يكون ازداد في طاعته، ولا يندم المؤمن بعد موته إلا على ساعة مضت دون أن يذكر الله فيها، وقد مر النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه بقبر فقال :

((صاحب هذا القبر إلى ركتين مما تحقرن من تنفككم خير له من كل دنياكم))

[ابن البارك عن أبي هريرة]

وإذا كان مسيئاً يزداد ألمًا، ويتمنى أن يعود إلى الأرض ليتوب إلى الله ويعمل صالحاً، يقول : أرجعني لعلي أعمل صالحاً .

أيها الأخوة الكرام :

قد مضى العمر وفات يا أسير الغلات  
 حصل الزاد وبادر مسرعاً قبل الفوات  
 فإلىكم ذا التعامي عن أمور واضحات  
 وإلىكم أنت غارق في بحار الظلمات

\*\*\*

إلى متى وأنت باللذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤوال

\*\*\*

### العاقل من عرف الله واستقام على أمره ووقف عند حدوده :

أيها الأخوة الكرام ؛ بتوجيهه صارخ من النبي عليه الصلاة والسلام وب الحديث قطعي الثبوت والدلالة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
**((أكثروا ذكر هادم اللذات يعني الموت))**

[ الترمذى عن أبي هريرة ]

مفرق الأحباب، مشتت الجماعات، عش ما شئت فإنك ميت، و أحبب ما شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، كلنا جميعاً حكم علينا بالموت مع وقف التنفيذ، ولكل منا بوابة خروج من الدنيا إلى الآخرة، وشاءت حكمة الله عز وجل أن يجعل هذه الأمراض الوبيلة العضالة ببوابات خروج من الدنيا، فليجهد المؤمن أن تكون بوابة خروجه بوابة إلى الجنة .  
 أيها الأخوة الكرام ؛ عن ابن عمر قال :

**((أتيت النبي صلى الله عليه وسلم - عاشر عشرة - فقال رجل من الأنصار : من أكياس الناس وأكرم الناس يا رسول الله ؟ فقال : أكثرهم ذراً للموت، وأشدتهم استعداداً له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ))**

[ ابن ماجه عن ابن عمر ]

أي من أعقلاهم ؟ من أذكاهم ؟ نحن في الدنيا نعد خطأً فادحاً أن الذكي هو الذي جمع المال الكثير، أو الذي وصل لمنصب خطير، أو الذي تمكن أن يعيش حياة واسعة هائمة مرفهة على حساب الآخرين . لا وربكم ليس هذا هو الذكي، ولكن الذكي والعاقل من عرف الله، واستقام على أمره، ووقف عند حدوده . دققوا في الحديث :

**((من أعقل الناس ؟ قال : أكثرهم ذراً للموت، وأشدتهم استعداداً له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ))**

[ الطبراني عن ابن عمر ]

أيها الأخوة الكرام ؛ من فوائد ذكر الموت أنه يحث على الاستعداد للموت قبل نزوله، شتان بين من يفاجئه الموت، وبين من كان مستعداً له، شتان بين طالب يقرع جرس الامتحان، ولم يحضر شيئاً، وبين طالب أمضى عاماً بأكمله يحضر، فإذا قرع جرس الامتحان قال : مرحباً بالامتحان طال انتظارنا له .

أيها الأخوة ؛ ذكر الموت يقصر الأمل في طول البقاء، وطول الأمل من أعظم أسباب الغفلة عن الله، هذا الذي التقيت به مرة فحدثني عن مشروعات لا تنتهي بعشرين عاماً قادمة، ورأيت نعيه في اليوم نفسه، أكبر أسباب الغفلة طول الأمل، ذكر الموت يزهد في الدنيا، ويرضي بالقليل منها : ((إذا أصبح أحدكم آمنا في سربه، معافي في جسمه، عنده قوت يومه، فكانما حيزت له الدنيا

بحذافيرها ))

[ الترمذى عن عبد الله بن محسن ]

ما الذي يهلك الناس ؟ طلب الأشياء الثانوية، الرفاهية، النعيم في الدنيا، الدنيا دار عمل وليس دار نعيم، الآخرة دار نعيم .

أيها الأخوة الكرام ؛ مر النبي عليه الصلاة والسلام بقوم يضحكون فقال : ((أكثروا ذكر هاذم الذات - الموت - فإنه لم يذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه ))

[ البزار عن أنس ]

ذكر الموت للفقير يرضيه بفقره، وذكر الموت للغني يزهده بغناه، والإكثار من ذكر الموت الأمر منصب لا على ذكر الموت بل أن تكثر من ذكر الموت، الإكثار من ذكر الموت يرحب في الآخرة، ويدعو إلى الطاعة، الإكثار من ذكر الموت يهون على العبد مصائب الدنيا .

هل أنت إلا إصبع دميٍّ وفي سبيل الله ما لقيتِ

\*\*\*

قطعت رجل أحد الصالحين قال : إن فقدت عضواً فمعيأعضاء كثيرة، وقد سبقني هذا العضو إلى الجنة إن شاء الله .

الإكثار من ذكر الموت يمنع من الأشر والبطر والتلوّح في ذات الدنيا، الإكثار من ذكر الموت يحث على التوبة واستدراك ما فات، الإكثار من ذكر الموت يرقق القلوب، و يجعل العين تدمّع، ويجلب باعث الدين، ويطرد باعث الهوى، الإكثار من ذكر الموت يدعو للتواضع، وترك الكبر والظلم، ويدعو لسل الأحقاد، ومسامحة الإخوان، وقبول أذارهم .

عن عبد الله بن مسعود قال :

((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطّا مربعاً وخط في وسط الخط خطّا، وخط خارجاً من الخط، خطّا وحول الذي في الوسط خطوطاً فقال : هذا ابن آدم وهذا أجله محيط به وهذا

**الذى في الوسط الإنسان، وهذه الخطوط عروضه إن نجا من هذا ينهشه هذا والخط الخارج  
الأمل ))**

[ الترمذى عن عبد الله بن مسعود ]

**أسعد إنسان من يأتيه الموت و هو مستعد له :**

أيها الأخوة الكرام ؛ وأجمعـت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ، ولا زـمـن معلوم ، ولا مرض معلوم ، لذلك ليكون المـرء على أهـبة من ذلك مستـعـداً له ، كان بعض الصالـحـين يـنـادـي بالـلـيل : الرـحـيل الرـحـيل ، فـلـما تـوـفـي فـقـيل صـوـته أـمـيرـ المـدـيـنـة فـسـأـلـ عـنـه فـقـيل : إـنـه قد مـاتـ ، فـأـنـشـدـ أـمـيرـ المـدـيـنـة قـائـلاً :

مازال يلهج بالرحيل وذكره حتى أanax ببابـه الجـمال  
فأصـابـه متـيقـظـاً متـشـمـراً ذـا هـبـة لم تـلـهـهـ الـآـمـالـ

\*\*\*

من هو أـسـدـ النـاسـ في الـأـرـضـ ؟ الذي يأتيـهـ الموـتـ وـهـوـ مـسـتـعـدـ لـهـ بـتـوـبـةـ صـادـقةـ ، وـبـطـاعـةـ تـامـةـ ، وـبـإـنـفـاقـ الـأـمـوـالـ ، وـبـتـرـبـيـةـ أـلـادـهـ ، وـبـضـبـطـ عـلـمـهـ وـبـيـتـهـ .

أـيـهاـ الـأـخـوـةـ الـكـرـامـ ؛ كـانـ أـحـدـ الصـالـحـينـ يـخـاطـبـ نـفـسـهـ يـقـولـ : وـيـحـكـ يا يـزـيدـ مـنـ ذـاـ يـصـلـيـ عـنـكـ بـعـدـ الـمـوـتـ ؟ مـنـ ذـاـ يـصـومـ عـنـكـ بـعـدـ الـمـوـتـ ؟ مـنـ ذـاـ يـتـرـضـىـ رـبـكـ عـنـكـ بـعـدـ الـمـوـتـ ؟ ثـمـ يـقـولـ : أـيـهاـ النـاسـ أـلـاـ تـبـكـونـ وـتـوـحـونـ عـلـىـ أـنـفـسـكـمـ ؟

بـيـنـاـ الفـتـىـ مـرـحـ الخـطـاـ فـرـحـ بـمـاـ يـسـعـىـ لـهـ

إـذـ قـيـلـ قـدـ مـرـضـ الفتـىـ

إـذـ قـيـلـ بـاتـ بـلـيـلـةـ ماـ نـامـهـ

إـذـ قـيـلـ أـصـبـحـ مـثـخـنـاـ مـاـ يـرـجـىـ

إـذـ قـيـلـ أـصـبـحـ شـاخـصـاـ وـمـوجـهـاـ وـمـعـلـاـ

إـذـ قـيـلـ أـصـبـحـ قـدـ مـضـىـ

إـذـ قـيـلـ قـدـ مـاتـ الفتـىـ

\*\*\*

كم من إـنـسـانـ كـانـ مـلـءـ السـمـعـ وـالـبـصـرـ فـيـ ثـانـيـةـ وـاحـدـةـ أـصـبـحـ خـبـرـاـ عـلـىـ الجـدرـانـ كـمـ ؟ قـالـ التـمـيمـيـ : شـيـئـانـ قـطـعاـ عـنـيـ لـذـةـ الدـنـيـاـ ؛ ذـكـرـ الـمـوـتـ ، وـذـكـرـ الـمـوقـفـ بـيـنـ يـدـيـ اللهـ عـزـ وـجـلـ ، وـقـالـ أـحـدـ الـعـلـمـاءـ : "مـنـ أـكـثـرـ مـنـ ذـكـرـ الـمـوـتـ أـكـرـمـ بـثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ ؛ تـعـجـيلـ التـوـبـةـ ، وـقـنـاعـةـ الـقـلـبـ ، وـنـشـاطـ الـعـبـادـةـ ، وـمـنـ نـسـيـ الـمـوـتـ عـوـقـبـ بـثـلـاثـةـ أـشـيـاءـ ؛ تـسوـيفـ التـوـبـةـ ، وـتـرـكـ الرـضاـ بـالـكـفـافـ ، وـالـتـكـاثـرـ فـيـ الـعـبـادـةـ" ، وـقـالـ الـحـسـنـ الـبـصـرـيـ : "إـنـ هـذـاـ الـمـوـتـ قـدـ أـفـسـدـ عـلـىـ أـهـلـ النـعـيمـ نـعـيمـهـمـ ، فـالـتـمـسـواـ

عيشًا لا موت فيه". هؤلاء الذين نجحوا في الحياة في جمع الأموال، أو في تسلم المناصب لا يلقهم إلا الموت، لأنه ينهي كل شيء، بثنائية واحدة .  
أيها الأخوة الكرام :

اذكر الموت ولا أرهبه إن قلبي غليظ كالحجر  
أطلب الدنيا كأني خالد وورائي الموت يقفوا بالآخر

\*\*\*

هناك أناس يقسو قلوبهم، هناك أناس يشيعون جنازة، ويقفون على باب المسجد لا يدخلون، وكأن هذا الذي دخل المسجد ليصل إلى عليه لن يلحقوه .

سمعت قصة أيها الأخوة، طلب رجل مبلغًا من المال قرضاً يستقرضه، وعرض أن يضع مزرعته رهناً لهذا القرض، وجد من يقرضه لهذا الرهن، بعد سنوات عدة أمكنه أن يرد القرض، لكن مزرعته تساوي أضعافاً مضاعفة من القرض، فقال له الذي تملكها رهناً : كل واحد معه حقه، فمن شدة ألمه أصيب بأزمة قلبية، ضاعت منه مزرعته مقابل قرض يسير، وحينما أشرف على الموت أمر ابنه أن يمشي بجنازته أمام دكان هذا الذي اغتصب منه المزرعة، وأن يوقف الجنازة أمام دكانه، وأن يدخل إليه، ويعطيه رسالة من المتوفى قبل أن يموت، قال له : إبني ذاهب إلى دار الحق فإذا كنت بطلًا فلا تلتحقي، هل يستطيع أحد إلا يذهب إلى الآخر ؟

### الاستعداد للموت و سكرته :

أيها الأخوة الكرام ؛ من أجمل ما قيل في شرح قوله تعالى :  
**«وابتُعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»**

[سورة القصص : ٧٧]

ما الذي تأخذه من الدنيا عند الموت ؟ قال : الكفن فقط، وبلا جيوب، ليس هناك محل لوضع شيكات في الجيب أبداً، من أرخص أنواع الأقمشة دون خياطة، هذا هو النصيب من الدنيا .  
أيها الأخوة الكرام ؛ ينبغي أن نستعد للموت وسكرته، وللقدر وضمه، ولمنكر ونكير، وللقاء العلي القدير .

يقول سعيد بن جبير : الغرة بالله أن يتمادي الرجل بالمعصية، ويتمنى على الله المغفرة، هذه معصية، طلب الجنة من دون عمل ذنب من الذنب :

تزود من التقوى فإنك لا تدرى إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر  
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر  
وكم من صبي يرجي طول عمره وقد نسجت أكفانه و هو لا يدرى

\*\*\*

## الأسباب الباعثة على تذكر الموت :

أيها الأخوة الكرام ؛ الأسباب الباعثة على تذكر الموت زيارة القبور ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
**((زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ ))**

[ابن ماجة عن أبي هريرة]

هؤلاء الذين في المقبرة كانوا أحياء مثنا ، وعندهم جداول أعمال ، وماتوا ولم ينجزوها ، وعندهم أمالك ، وماتوا ولم ينتفعوا بها ، وعندهم أولاد ، وماتوا ولم يروا زواجهم ، كم من إنسان مات قبل أن يأخذ شهادته ؟ وكم من إنسان مات قبل أن يقترب بزوجته ؟ فزيارة القبور تذكر بالآخرة ، وزيارة مغاسل الأموات ورؤية الموتى حين يغسلون لموعدة كبيرة ، ومشاهدة المحاضرين وهم يعلنون سكرات الموت ، وتلقينهم الشهادة فيه موعدة كبيرة ، وتشييع الجنازة ، والصلة عليها ، وحضور دفنهما فيه موعدة كبيرة ، وتلاوة القرآن ، ولاسيما الآيات التي تذكر بالموت وسكراته ، قوله تعالى :

**﴿وَجَاءَتْ سُكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾**

[سورة ق : ١٩]

فيه موعدة كبيرة ، والشيب والمرض هذه رسل ، هذه مؤشرات ، هذه مشعرات ، يشيب شعر الإنسان ، يضعف بصره ، يحتاج للنظارة ، تفسد أسنانه يحتاج لتقويم ، وموعدات صناعية ، تضعف مفاصله ينحني ظهره . عبدي كبرت سنك ، وانحنى ظهرك ، وشاب شعرك ، وضعف بصرك ، فاستح مني ، فأنا أستحي منك ، الشيب والمرض رسولان من رسل الموت ، الظواهر الكونية التي يحدثها الله عز وجل تذكيراً لعباده بالموت ، كالزلزال ، والبراكين ، والفيضانات ، والانهيارات الأرضية ، والعواصف المدمرة ، والحروب الأهلية ، هذه كلها تذكر بالموت ، مطالعة أخبار الماضين ، كم تركوا من جنات وعيون و زروع ، ومقام كريم ، فما بكت عليهم السماء والأرض .

## سكرات الموت :

أيها الأخوة الكرام ؛ إن للموت ألمًا لا يعرفه إلا الذي يعالجه ويذوقه ، فالملائكة ينقطع صوته ، وتضعف قوته عن الصياح لشدة الألم والكرب على القلب ، إن الموت قد هد كل جزء من أجزاء البدن ، وأضعف كل جوارحه ، فلم يترك له قوة للاستغاثة ، أما العقل فقد غشيته وسوسه ، وأما اللسان فقد أبكمه ، وأما الأطراف فقد أضعفها ، ويود لو قدر على الاستراحة بالأذنين والصياح ، ولكنه لا يقدر على ذلك ، فإن بقيت له قوة سمع له عند نزوع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه وصدره ، وقد تغير لونه ، ولكل عضو من أعضائه سكرة ، وكربة بعد كربة ، حتى تبلغ روحه الحلقوم .

**﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ \* وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكُنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾**

[سورة الواقعة : ٨٣-٨٥]

أيها الأخوة الكرام ؛ عن عائشة رضي الله عنها كانت تقول :  
((إنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدِيهِ رَكْوَةً أَوْ عَلْبَةً فِيهَا مَاءٌ يَشْكُّ عُمُرُ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ الْمَوْتَ سَكْرَاتٍ . . . ))  
[البخاري عن عائشة]

وكان يقول عند موته صلى الله عليه وسلم :  
**((اللهم أعني على سكرات الموت))**

[تخرير أحاديث الأحياء للحافظ العراقي]

هذا تعليم لنا، مغادرة الدنيا شيء صاعق من كل شيء إلى لا شيء إلا من كان مؤمناً ومن كان له عمل طيب أو من أرسل ماله أمامه .

## الموت هو الواقع الصامت :

أيها الأخوة الكرام ؛ فما لك ليس يعمل فيك وعد ولا زجر، لأنك من جماد، ستتم إن رحلت بغير زاد، وتشقى إذ يناديك المنادي فلا تأمن لذى الدنيا صلاحاً، فإن صلاحها عين الفساد، ولا تفرج بمال تقتله فإلك معكوس المراد، وتب مما جنت، وأنت حي، وكن متباهاً قبل الرقاد، أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد، وأنت بغير زاد .

أيها الأخوة الكرام ؛ قالوا من لا يردعه الموت والقرآن لو تناطحت عنده الجبال لن يرتدع، هذا الموت الواقع الصامت، لو تناطحت الجبال أمامه لا يرتدع .

ورد في بعض الأخبار أن نبياً من أنبياء الله عليهم السلام قال لملك الموت : أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس منك على حذر ؟ قال : بلـ، لي والله رسول كثيرة من الأمراض، والشيب، والهموم، وتغير السمع والبصر، ضعف البصر رسول للموت، ضعف السمع، ألم المفاصل، انحناء الظهر، هذه العلل التي تأتي قبل الموت إنها رسول ونذر، شاعت حكمة الله أن تكون هذه التغيرات؛ يشيب شعره، يضعف بصره، يشعر بألم في مفاصله، يعسر الهضم عنده كأن الله يقول: يا عبدي اقترب اللقاء، وهذه المؤشرات فهل أنت مستعد له ؟

أيها الأخوة الكرام ؛ الإمام القرطبي في قوله تعالى :

**﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾**

[سورة فاطر : ٣٧]

النذير هو القرآن الكريم، والنذير هو النبي عليه الصلاة والسلام، والنذير شيب الشعر، والنذير سن الأربعين، والنذير سن الستين، والنذير هي المصائب، والنذير هو موت الأقارب .

## ما تمضي في حياتك تقوله عند مماتك :

أيها الأخوة الكرام ؛ قيل لرجل عند موته قل : لا إله إلا الله، وكان سمساراً، فأخذ يقول : ثلاثة ونصف، وأربعة ونصف، غلت عليه حرفته في الدنيا، والإنسان في ساعة الموت الذي يقوله تلخيص حياته كلها، قيل لآخر : قل : لا إله إلا الله، فجعل يقول : الدار الفلانية أصلحوا فيها، البستان الفلانى اعملوا فيه كذا وكذا، قيل لأحد هم وهو في سياق الموت قل : لا إله إلا الله فجعل يغنى، قيل لشارب خمر قل : لا إله إلا الله عند الموت، فجعل يقول : اشرب واسقني، الذي تمضي في حياتك تقوله عند مماتك، أما هناك صور مشرقة دخل صفوان بن سليم على محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال له : يا أبا عبد الله كأني أراك قد شق عليك الموت، فما زال يهون عليه، ويتجلى عن وجده حتى بدا وجهه كأنه قرص الشمس، هذا عند الموت ! فقال : لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك .

﴿قَيْلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾

[سورة يس : ٢٦]

وقال محمد بن ثابت : ذهبت لألقن أبي وهو في الموت فقلت : يا أبتي قل لا إله إلا الله، قال : يا بني خلي عني، أنا في وردي السادس والسابع، أحد المؤمنين احتضر فبكى قيل له : مم بكاؤك ؟ قال : أسفًا على الصلاة والصوم، ولم يزل يتلو القرآن الكريم حتى مات، وحينما قالت : واكربته يا أبتي، سيدنا بلال قال : لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحابه .

## تفاوت الناس في مدى استعدادهم للموت :

أيها الأخوة الكرام ؛ هل يجرؤ إنسان في الأرض أن يقول : أنا لا أموت ؟ الأنبياء ماتوا، الملوك ماتوا، الفقراء ماتوا، الأغنياء ماتوا، الحكماء ماتوا، المحكومون سيموتون، هذا الموت قدر كل إنسان، ما من موضوع أشد واقعية من الموت، لكن الناس لا يتفاوتون في مدى إيمانهم بحتمية الموت، يتفاوتون في مدى استعدادهم له .

البطولة أن تستعد له، وأن تصل إليه وأنت تضحك، الإنسان يولد وهو بيكي، وكل من حوله يضحك، فإذا مات كل من حوله بيكي، فإذا كان بطلاً يضحك وحده، كل بطولتك والله الذي لا إله إلا هو، وكل ذكائك وحكمتك وتوفيقك وتقوفك أن تضحك عند مفارقة الدنيا ومن حولك يكون .

المؤمن يهوي لكل شيء يفعله جواباً لله عز وجل يوم القيمة :

أيها الأخوة الكرام ؛ الحديث ذو شجون، ونحن من حين لآخر بحاجة لمثل هذه الخطبة، لأن كل خطبة ترقق القلب، وقد يضعف هذا التأثير بعد حين، النبي عليه الصلاة والسلام قال :

## ((أكثروا ذكر هامٍ للذات))

[الترمذني عن أبي هريرة]

أحد أخواننا الكرام كان تلميذاً عند عالم جليل في هذه البلدة الطيبة، أقسم لي أن شيخه من خمس سنوات قبل أن يموت يزور قبره كل خميس يقول له : يا ولدي هنا المصير، هنا المثلوي الأخير، فهذا الذي يذكر الموت، ويخطط له ويهبئ له، من هو المؤمن ؟ هو الذي يهبئ لكل شيء يفعله جواباً لله عز وجل يوم القيمة، أما هذا الذي لا يهبئ هذه الأجرة فإنه الموت وهو غير مستعد له، والله تأتي على الإنسان ساعة عند مفارقة الدنيا يصبح صحة لو سمعها من في الأرض لصعقوا .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطنا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### كيفية مواجهة الموت والاستعداد له :

أيها الأخوة الكرام ؛ قد تقرأ كتاباً سخيفاً تنتهي من قراءته تتناءب، وتتام، وقد تقرأ كتاباً خطيراً تنتهي من قراءته فتبداً متاعبك، وضعك أمام مسؤوليات، فالبطولة لا أن تستمع إلى خطبة وتنتاب وتناءب، البطولة أن تستمع إلى خطبة تنتهي فتبداً متاعبك، كيف سنواجه الموت ؟ كيف نستعد له ؟ كيف نوفق بين أعمالنا ومحاسبتنا يوم القيمة ؟ هنا البطولة .

في هذا الموضوع حديث والله يقصم الظهر، والكلام الخطير هو النافع، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((بادرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبِيعًا هُلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقَرَا مُنسِيًّا، أَوْ غَنِيًّا مُطْغِيًّا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرٌّ غَابِبٌ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ))

[الترمذني عن أبي هريرة]

بربكم هل يستطيع واحد منا أن يقول : أنا أستيقظ كل يوم كاليلوم السابق إلى ما شاء الله ؟ مستحيل، يوجد بوابة خروج هي المرض الخطير، لابد من الخروج، ولا إمكان إطلاقاً أن تستيقظ

كل يوم كاليوم السابق، يجب أن تهيئ نفسك لمفاجأة، قد ينتهي الوقت وال عمر لابد من مغادرة، فكل بطولتك أن تستعد لهذه المغادرة .

سمعت قصة طريفة : مكتباً عقارياً في بعض البلاد اشتري أرضاً باحتيال وخداع من رجل ساذج بربع ثمنها، وهذا المكتب أنشأ عمارة عالية جداً تزيد على عشرة طوابق، أول شريك وقع من رأس البناء فدقت عنقه، والشريك الثاني دُهس بسيارة، انتبه الشريك الثالث، وعلم أن هذا الاحتيال وأكل المال الحرام سبب هذه النهاية الحزينة لشريكه، فبحث عن صاحب الأرض ستة أشهر حتى عثر عليه، ونقده ثلاثة أضعاف ما أعطاه سابقاً، فقال له هذا البدوي : ترى أنت لحقت حالك . فكل منا ينبغي أن يبحث عن سبيل الخلاص قبل أن يموت، كل شيء يصح في الدنيا ما دام القلب ينبض، كل شيء يصح ويسوى، اغتب إنساناً اعتذر منه أمام الذين اغتبته أمامهم، كل شيء يصح وأنت حي، فإذا جاء الموت ختم العمل، وصار الحساب وال العذاب .

فيما أيها الأخوة الكرام ؛ كما قال سيدنا عمر : واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، ولكن لابد من يوم يقرأ الناس نعيينا، شئنا أم أبيينا، أحبابنا أم كرهنا، لابد من خروج من البيت بشكل أفقى مرة واحدة، ولا بد من دخول المسجد بشكل أفقى لا لنصلى فيه بل ليصلى علينا، ولا بد من قبر مظلم موحش نوضع فيه . فكل بطولتنا وجهتنا وذكائنا وعقلنا يقتضي أن نستعد لهذه الساعة التي لابد منها، قد تأتي بغتة، ما من ميت إلا وفاجأه الموت، ما من ميت وفي رغبته أن يعيش عشرين عاماً قادماً إلا جاء الموت وأنهى كل أحلامه .

#### الدعاء :

اللهم اهدنا فيما هديت، وعافنا فيما عافت، وتولنا فيما توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، اللهم أصلاح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلاحاً لنا دنيانا التي فيها معاشرنا، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الخوف إلا منك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء، مولانا رب العالمين، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم أقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، ولا تعاملنا بفعل المسيئين يا رب العالمين، اللهم يا رب العالمين أعن إخوتنا في الأرضي المحتلة على ما هم فيه، اللهم انصرهم على أعدائهم وأعدائك يا رب العالمين، اللهم اجعل تدمير أعدائهم في تدبيرهم، واجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم مدهم بمدد منك، أللهم أهلهم الصبر

والسلوان يا رب العالمين، اللهم وفق ولاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لما تحب  
وترضى، واجمعهم على كل خير يا رب العالمين .

**والحمد لله رب العالمين**